



## مقدمة:

عزيزٌ على النفس الكريمة المؤمنة أن ترى مسكنيناً بليت ثيابه حتى تكاد تُرى عورته، أو تبصر حافي القدمين أدمت حجارة الأرض أصابعه وقطعت عقبيه، أو تلحظ جائعاً يمْدُ عينيه إلى شيءٍ غيره فينقلب إليه البصر خاسئاً وهو حسير. حين تفشو مثل هذه الأحوال، ثم لا يكتثر الفادرون، ولا يهتم الموسرون فكيف يكون الحال؟ وأين وازع الإيمان؟!

### 1- خلق الله المعروف وخلق له أهلاً

فقد جرت سنة الله تبارك وتعالى في البشر أن جعل بعضهم البعض سُخرياً، لا تتم لهم سعادتهم إلا بالتعاون والتواصل، ولا تستقر حياتهم إلا بالتعاطف وفشو المودة، يرفق القويُّ بالضعف، ويُحسن المكثر على المقلِّ، ولا يكون الشقاء ولا يتحقق البلاء إلا حين يفشو في الناس التقاطع والتدابر، ولا يعرفون إلا أنفسهم، ولا يعترفون لغيرهم بحق.

إنَّ الله برحمته حين خلق المعروف خلق له أهلاً، فحبَّه إليهم، وحبَّب إليهم إسداه، وجَّههم إليه كما وجَّه الماء إلى الأرض الميتة فتحيا به ويحيا به أهلاها، وإن الله إذا أراد بعده خيراً جعل قضاء حوائج الناس على يديه، ومن كثرت نعم الله عليه كثر تعلق الناس به، فإن قام بما يجب عليه لله فيها فقد شكرها وحافظ عليها، وإن قصرَ وملَّ وتبرَّم فقد عرَّضها للزوال ثم انصرفت وجوه الناس عنه.

وقد ورد في الحديث: **(إنَّ لله أقواماً اختصَّهم بالنعم لمنافع عباده يقرُّها فيهم ما بذلوها، فإذا منعواها نزعها منهم وحولها إلى غيرهم)**

وعن ابن عباس رضي الله عنهم مرفوعاً: **(ما من عبد أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِ نِعْمَةً وَأَسْبَغَهَا عَلَيْهِ ثُمَّ جَعَلَ حَوَائِجَ النَّاسِ إِلَيْهِ فَتَبَرَّمَ فَقَدْ عَرَّضَ تَلْكَ النِّعْمَةَ لِلزِّوَالِ)**

### 2- الجزء من جنس العمل

إن في دين الله شرائع محكمة لتحقيق التواصل والترابط، تربى النفوس على الخير، وترشد إلى بذل المساعدات وصنائع المعروف.

ففي الخبر الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم: **(من نَفَسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كَرِبَةً مِنْ كَرْبَلَةِ الدُّنْيَا نَفَسَ اللَّهَ عَنْهُ كَرِبَةً مِنْ كَرْبَلَةِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسِّرَ عَلَى مَعْسِرٍ يُسِّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللَّهُ فِي عَوْنَانِ الْعَبْدُ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنَ أَخِيهِ)**

وفي الصحيحين أيضاً: **(الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يُظْلِمُهُ وَلَا يُسْلِمُهُ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةٍ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كَرِبَةً فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كَرِبَةً مِنْ كَرْبَلَةِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)**  
ولِعْظَمِ الْأَمْرِ وَدَقَّتِهِ فَقَدْ قَالَ أَهْلُ الْعِلْمِ: إِنْ تَفْرِيْجَ الْكَرُوبِ أَعْظَمُ مِنْ تَنْفِيْسِهَا؛ إِذَا التَّفْرِيْجُ إِزْالَتْهَا، أَمَّا التَّنْفِيْسُ فَهُوَ تَخْفِيفُهَا،  
وَالْجَزَاءُ مِنْ جَنْسِ الْعَمَلِ، فَمَنْ فَرَّجَ كَرِبَةً أَخِيهِ فَرَّجَ اللَّهَ كَرِبَتَهُ، وَالْتَّنْفِيْسُ جَزَاؤُهُ تَنْفِيْسُ مِثْلِهِ.

والتيسيير على المعسر في الدنيا جزأه التيسير من عسر يوم القيمة، وحسبيك في يوم قال فيه رب العزة: **{فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ \* عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ}** [المدثر 9-10]

وقال سبحانه: **{وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا \* إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا تُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا \***

**إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا \* فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَاهُمْ نَصْرَةً وَسُرُورًا \***

**وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا}** [الإنسان 9 - 12]

وفي صحيح مسلم: (من سرَّه أن ينجيه الله من كرب يوم القيمة فلينفس عن معسر أو يضع عنه)  
(من أنظر معسرًا أو وضع عنه أظله الله في ظله يوم لا ظلَّ إلا ظله)

والمؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً. وأحب الخلق إلى الله أنفعهم لعباده. وصنائع المعروف تقي مصارع السوء.  
ولقد قال بعض الحكماء: أعظم المصائب أن تقدر على المعروف ثم لا تصنعه.  
والغبطة في من يسَّر الله له خدمة الناس وأعانته على السعي في مصالحهم.

### 3- كثرة طرق الخير وسهولتها:

إن دروب الخير كثيرة وحوائج الناس متنوعة؛ إطعام جائع، وكسوة عارٍ.. عيادة مريضٍ، وتعليم جاهل.. وإنظار معسر، وإعانة عاجز، وإسعاف منقطع.. تردد عن أخيك هماً، وتزيل عنه غمًا.. تكفل يتيمًا، وتواسي أرملة.. تكرم عزيز قومٍ ذلٌّ، وتشكر على الإحسان، وتغفر الإساءة.. تسعى في شفاعة حسنة تفك بها أسيراً، وتحقن بها دمًا، وتجرب بها معروفاً وإحساناً.

كل ذلك تكافل في المนาفع وتضامن في التخفيف من المتاعب.. وتأمين عند المخاوف، وإصلاح بين المتخصصين، وهداية لابن السبيل. فإن كنت لا تملك هذا ولا هذا فادفع بكلمة طيبة وإلا.. فكُفَّ أذاك عن الناس.

أخرج الترمذى من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (تبسمك في وجه أخيك صدقة، وأمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر صدقة، وإرشادك الرجل في أرض الضلال لك صدقة، وإماتتك الحجر والشوك والعظم عن الطريق لك صدقة، وإفراحك من دلوك في دلو أخيك صدقة)

نعم أيها الإخوة: كل معروف صدقة، وأهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة. والصدقة تطفئ غضب الرب، وصلة الرحم تزيد في العمر، والمال إن لم تصنع به معروفاً أو تقضي به حاجة وتدخل لك به أجرًا فما هو إلا لوارث أو لحادث، وصنائع البر والإحسان تُستبعد بها القلوب.

والشحاج البخيل كالح الوجه يعيش في الدنيا عيشة الفقراء ويحاسب يوم القيمة حساب الأغنياء، فلا تكن أيها الموسر القادر خازناً لغيرك.

- إن صفو العيش لا يدوم، وإن متاعب الحياة وأرذاءها ليست حكراً على قوم دون قوم، وإن حساب الآخرة لعسير، وخذلان المسلم شيء عظيم.

وال المسلمين هانوا أفراداً وهانوا أممًا حين ضعفت فيهم أواصر الأخوة، ووهبت فيهم حبال المودة، عندما تستحكم الأنانيات و تستغل المسالك على أصحاب الضوابق.

بل إن بعض غلاظ الأكباد وقساة القلوب ينظرون إلى الضعف والحتاج وكأنه قدى في العين.. يزلقونه بأبصارهم في نظرات كلها اشمئزاز واحتقار، لا يعتبر هؤلاء بأقؤام دار عليهم الزمان وعَدَت عليهم العوادي، واجتاحتهم صروف الليالي... فاستدار عزهم ذلاً، وغناهم فقرأ، ونعيمهم جحيمًا؟

إن ميادين الخير متنوعة المصادر والموارد ، وأعمال البر مختلفة المسارب والمسارب ، و للمعروف صنائع تقي سوء المصادر ، ومن استطاع استكثار قبل التحويل ، واستبسط استعداداً للرحيل، لكن من استقل مع المداومة فاز، ومن داوم

وصبر وصابر جاز ، والله صاحب الفضل أولاً وآخرأ ، وظاهرأ وباطنا ،  
وهذا عمل قليل لكنه بالتوحيد لله والتمجيد مع إخلاص النية إنه عظيم وكثير.

#### 4- نماذج حية:

هذا رجل لا كالرجال، إنه خَبِرَ فَأَلْزَمَ نَفْسَهُ - وَمَنْ يَصْبِرْ يَصْبِرُهُ اللَّهُ - ، إِنَّهُ صَاحِبَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، إِنَّهُ أَبُو ذَرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، دَخَلَ عَلَيْهِ رَجُلٌ مِّنْ أَهْلِ الشَّامِ وَهُوَ يَوْقَدُ تَحْتَ قَدَرَ مِنْ حَطَبٍ قَدْ أَصَابَهُ مَطْرٌ وَدَمْوَعَهُ تَسِيلٌ ، فَقَالَتْ اِمْرَأَتُهُ: قَدْ كَانَ لَكَ عَنْ هَذَا مَنْدُوْحَةً لَوْ شَئْتَ لِكُفِيتَ ، فَقَالَ أَبُو ذَرٍ: وَهَذَا عِيشِيْ فَإِنْ رَضِيَتِ إِلَّا فَتَحَّتَ كَنْفُ اللَّهِ .  
قَالَ: فَكَأْنَمَا أَلْقَمَهَا حَجْرًا ، حَتَّى إِذَا نَضَجَ مَا فِي قَدْرِهِ جَاءَ بِصَحْفَةِ لَهُ ، فَكَسَرَ فِيهَا حُبْزَةً لَهُ غَلِيظَةً ، ثُمَّ جَاءَ بِالَّذِي فِي الْقَدْرِ فَكَدَرَهُ عَلَيْهِ ، ثُمَّ جَاءَ بِهِ إِلَى اِمْرَأَتِهِ ، ثُمَّ قَالَ لَيْ: أُدْنِ ، فَأَكْلَنَا ، ثُمَّ أَمْرَ جَارِيَتِهِ أَنْ تَسْقِينَا فَسَقَتْنَا مَذْقَةً مِنْ لَبِنِ مَعْزِ لَهُ ، فَقَلَّتْ: يَا أَبَا ذَرٍ: لَوْ اتَّخَذْتَ فِي بَيْتِكَ شَيْئًا ، فَقَالَ يَا عَبْدَ اللَّهِ: أَتَرِيدُ لَيْ مِنَ الْحَسَابِ أَكْثَرَ مِنْ هَذَا؟  
وَغَرَارَةً فِيهَا دَقِيقَ ، فَتَرِيدُ لَيْ مِنَ الْحَسَابِ أَكْثَرَ مِنْ هَذَا؟

قَلَّتْ: فَأَيْنَ عَطَاوَكَ أَرْبَعُ مِئَةِ دِينَارٍ ، وَأَنْتَ فِي شَرْفِ مِنَ الْعَطَاءِ ، فَأَيْنَ يَذْهَبُ؟

فَقَالَ: أَمَا إِنِّي لَنْ أُعَمِّي عَلَيْكَ ، لَيْ فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ ثَلَاثُونَ فَرْسًا إِذَا خَرَجَ عَطَائِي اشْتَرَيْتَ لَهَا عَلْفًا ، وَأَرْزَاقَا لِمَنْ يَقُومُ عَلَيْهَا ، وَنَفْقَةً لَأَهْلِي ، فَإِنْ بَقَى مِنْهُ شَيْءًا اشْتَرَيْتَ بِهِ فَلُوسًا فَجَعَلْتَهُ عَنْدَ نَبْطِيْ هَا هَنَا ، فَإِنْ احْتَاجَ أَهْلِي إِلَى لَحْمٍ أَخْذُوا مِنْهُ ، وَإِنْ احْتَاجُوا إِلَى شَيْءٍ أَخْذُوا مِنْهُ ، ثُمَّ أَحْمَلُ عَلَيْهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، فَهَذَا سَبِيلُ عَطَائِي لَيْسَ عَنْدَ أَبِي ذَرٍ دِينَارٌ وَلَا دَرْهَمٌ  
طَوْبَى لِمَنْ أَقْبَلَ عَلَى دَخَائِلِ النَّفْسِ فَزَكَاهَا ، وَالْوَيْلُ لِمَنْ عَظَمَ نَفْسَهُ فَدَسَاهَا ، فَالنَّفْسُ بَذْكُرِ اللَّهِ قَوَامُهَا وَمَغْنَاهَا ، وَالْإِسْتِرْسَالُ فِي مَرْضَاتِهَا يَهْلِكُ مِنْ سَعْيِ فِي هَوَاهَا ، وَالْمُؤْمِنُ مَرَأَةُ أَخِيهِ الْمُؤْمِنُ ، كَيْفَ أَنْتَ مِنْ أَخِيكَ وَكَيْفَ أَخْوَكَ مِنْكَ هُوَ مَكَانُكَ عَنْ اللَّهِ ، فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِهِ فَلَهُ الْإِكْرَامُ ، وَمَنْ لَمْ يَكُنْ فَلَهُ مَا لِلَّهِ ، فَإِيَّا يَأْتِيْ وَإِيَّا يَكُمْ إِلَّا مِنَ الْخَيْرِ ، وَالصَّبْرُ الصَّبْرُ فَهُوَ بِلَا رِيبٍ مَفْتَاحُ الْجَنَانِ ، وَمَرْضَاةُ الرَّحْمَنِ ، وَفَقَنَا اللَّهُ لِصَالِحِ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ ، وَجَنَبْنَا الْخَطَا وَالْزَّلْلِ .

رَجُلٌ آخَرُ مِنَ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ، فَقَدْ رُوِيَ الطَّبِيرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ عَنْ عَوْنَى بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، قَالَ: كَانَ لَأَبِي الْيَسِّرِ عَلَى رَجُلٍ دَيْنَ فَأَتَاهُ يَتَقَاضَاهُ فِي أَهْلِهِ ، فَقَالَ لِجَارِيَّةٍ: قُولِي: لَيْسَ هُوَ هَنَا ، فَسَمِعَ صَوْتَهُ ، فَقَالَ: أَخْرُجْ قَدْ سَمِعْتُ صَوْتَكَ ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ ، فَقَالَ: مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ؟ ، قَالَ: الْعُسْرَةُ ، قَالَ: اللَّهُ ، قَالَ: اذْهَبْ فَلَكَ مَا عَلَيْكَ ، إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، يَقُولُ: "مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا ، أَوْ وَضَعَ عَنْهُ ، كَانَ فِي ظِلِّ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، أَوْ كَنْفِ اللَّهِ")

1 - الطبراني في الكبير / 13925 ، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب: حسن لغيرة.

2 - الطبراني في الأوسط / 7559 ، وحسن الألباني في صحيح الترغيب والترهيب

3 - مسلم / 2699

4 - البخاري / 2442 ، ومسلم / 2580

5 - مسلم / 1563

6 - مسلم / 3006

7 - الترمذى / 1956 ، وصححه الألباني في صحيح الجامع.

8 - الزهد والرقائق لابن المبارك / 589

9 - الطبراني في المعجم الكبير / 5022

المصادر: